المحاضرة الثامنة: أنواع المجاز

المجاز في اللغة مصدر ميمى على وزن "مفعل" وهو إما أن يكون بمعنى الجواز والتعدية من جاز المكان يجوزه إذا تعداه وقطعه .. وقد سميت به الكلمة التي جازت مكانها الأصلي وتعدته لغيره أو التي جاز بها المتكلم معناها الأصلي إلى غيره فتكون هذه التسمية من إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل أو المفعول .. وإما أن يكون بمعنى مكان الجواز والتعدية من قولهم : جعلت هذا مجازا إلى حاجتي أي طريقا إليها فهو من جاز المكان أي : سار فيه وسلكه إلى كذا ، لا من جازه إذا تعداه ، فيكون لفظ المجاز اسم مكان وقد أطلق على الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له باعتبار أنها طريق إلى تصور المعنى المراد منها.

إنكار المجاز والحقيقة : يزعم بعضهم أن اللغة كلها حقيقة ، وينكرون المجاز ، ويذهبون إلى أنه غير وارد في القرآن الكريم ولا في كلام الناس .

وحجتهم أن المجاز أخ الكذب والقرآن منزه عنه ، وأن المتكلم لا يعدل إلى المجاز إلا إذا ضاقت به الحقيقة[1].

ويزعم بعضهم الآخر أن أكثر اللغة عند التأمل مجاز لا حقيقة ، فقولنا : قام زيد مجاز ، لأن زيدا لم يفعل كل القيام بل فعل بعضه ، فهو من وضع الكل موضع البعض للاتساع والتوكيد ولذا يقال : قام قومة وقومتين وقياما حسنا وقياما قبيحا.

وكذا قولنا: ضربت زيدا مجاز أيضا ، لأن القائل فعل بعض الضرب لا كله ، ولأنه ضرب بعض زيد لا جميعه ، فقد ضرب يده أو رجله أو ناحية من نواحي جسده ولهذا فإنه إذا احتاط جاء ببدل البعض فيقول : ضربت زيداً رأسه أو كتفه .. ثم هو مع ذلك متجوز لأن الضرب وقع ببعض الرأس وبجزء من الكتف[2] وهذان الرأيان مبنيان على خطأ في التصور وعلى كثير من التدقيق الذي تنفر منه طبيعة هذه اللغة.. ويتضح ذلك فيما يلى :

1-أن المجاز قد ورد في اللغة وفي القرآن الكريم فنحن نقول : "رأيت أسداً" وتريد رجلا شجاعا والله عز وجل يقول : (وَاسْأَلِ القَرْيَةَ)[3] ويقول : (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ)[4] والقرية لا تسأل ، وليس للذل جناح ، فالمعنى على المجاز.

2-أن المجاز يفارق الكذب من جهتين:

الأولى: أن الكذب لا تأويل فيه والمجاز مبنى على التأويل والصرف عن الظاهر.

الثانية: أن المجاز لابد فيه من نصب قرينة على إرادة خلاف الظاهر من اللفظ، مانعة من إرادة المعنى الحقيقي له ... أما الكذب فليس فيه قرينة على إرادة غير الظاهر، بل إن قائله يبذل قصارى جهده لترويج ظاهره وإبراز صحة باطله.

---

[1] انظر الإتقان ج 2 ص 47 والبرهان ج 3 ص 432

[2] أنظر الخصائص ج 2 ص447 والطراز ج 1 ص 44.

[3] سورة يوسف 82

[4] سورة الاسراء 24

-أن القائلين بأن أكثر اللغة مجاز قد بنوا رأيهم على كثير من التدقيق الذي تنفر منه طبيعة اللغة ؛ لأنه تدقيق لا يصل بنا إلى غاية مرجوة ، فلو قلنا : مرض زيد ، أفادت هذه الجملة الإخبار بمرض زيد ولو ذهبنا ندقق : أي مرض أصابه؟ وأي جزء منه مرض ؟ أرجله أم فخذه أم بطنه أم صدره أم رأسه أم يده أم إصبعه؟ وإذا كان الجزء المريض من زيد هو الإصبع فأي موضع منه؟ وأي إصبع من أصابعه ؟ وهل كل الإصبع ؟ أم إحدى أنامله ؟ وإذا كانت إحدى أنامله أهي الأولى أم الثانية أم الثالثة؟ وهل الأنملة كلها ؟ أم جزء منها ؟ .. الخ . وهذا تدقيق لا غاية وراءه ولا فائدة ترتجى منه بل إن طبيعة اللغة وعفوية الدلالة تتنافى معه وتأباه . وبهذا يتضح لنا أن إنكار الحقيقة في اللغة إفراط وإنكار المجاز تفريط، فالمجازات لا يمكن دفعها والحقائق لا يتأتى إنكارها والرأي السديد هو أن اللغة والقرآن الكريم يشتملان على الحقائق والمجازات معا . فما كان من الألفاظ مفيدا لما وضع له في الأصل فهو حقيقة ، وما أفاد غير ما وضع له في الأصل فهو مجاز والمقام هو الذي يحدد ما يقتضى استعماله من حقائق أو العدول عنها إلى المجازات.

المجاز المفرد والمجاز المركب : ينقسم المجاز باعتبار الإفراد والتركيب إلى قسمين: مجاز مفرد ، وهو ما كان اللفظ المتجوز به مفردا كقوله تعالى : (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ)[5] ، أي أناملهم ..

وقول أبي تمام مادحا:

يا ابن الكواكب من أئمة هاشم والرجح والأحساب والأحلام

فالمراد بالأصابع في الآية: الأنامل والمراد بالكواكب في البيت: آباء الممدوح.

ومجاز مركب: وهو ما كان اللفظ المتجوز به مركبا نحو: مالي أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى؟ فالمراد: تردده في الأمر فهو يقبل عليه مرة ويتراجع عنه مرة أخرى.

تعريف المجاز المفرد: فالمجاز المفرد هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه يصح مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

فخرج بالكلمة المستعملة" الكلمة قبل الاستعمال فإنها لا تسمى حقيقة ولا مجازا على نحو ما مر في تعريف الحقيقة.

وخرج بغير ما وضعت له الحقيقة ، فإنها مستعملة فيما وضعت له، وقولنا : في اصطلاح التخاطب إشارة إلى أن المعتبر في تحديد المجاز أو الحقيقة ، الاصطلاح الذي يقع به التخاطب .. فالشرعي إذا استعمل لفظ "الصلاة" في الدعاء كانت مجازا ، وإذا استعملها في الأركان الخاصة كانت حقيقة في عرفه .. والبلاغي إذا استعمل "الكناية" في الستر والخفاء كانت مجازا . . ولفظ "الدابة" إذا استعمل عند أرباب العرف العام في الدلالة على الإنسان كان مجازا وإن كانت مستعملة فيما وضعت له في اصطلاح أهل اللغة واللغوي إذا استعمل لفظ "الأسد" في الدلالة على الرجل الشجاع كان مجازا وإذا استعمل في الدلالة على الحيوان المفترس كان حقيقة ... وهكذا.

[5] سورة البقرة الآية 19

والقرينة: هي الأمر الذي يجعله المتكلم دليلا على أنه أراد باللفظ غير المعنى الموضوع له وتقييدها بالمانعة احترازا عن الكناية؛ لأن قرينتها لا تمنع إرادة المعنى الأصلي مع المعنى الكنائي.

هذا والمجاز المفرد يتنوع باعتبار المصطلح الذي يقع به التخاطب إلى أربعة أنواع: مجاز لغوى و مجاز شرعي و مجاز عرفي خاص و مجاز عرفي عام .. على نحو ما مر في تعريف الحقيقة.

ما الفرق بين الاستعارة والمجاز المرسل؟: ينقسم المجاز المفرد باعتبار نوع العلاقة الرابطة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي الذي استعمل فيه اللفظ إلى قسمين:

١ - مجاز بالاستعارة : وهو ما كانت علاقته المشابهة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي كقولنا : رأيت بحرا يغترف الناس من كرمه ، فالعلاقة بين البحر والرجل الكريم المشابهة في العطاء.

٢ - مجاز مرسل : وهو ما كانت علاقته غير المشابهة كقولنا : أمطرت السماء نباتا، فالعلاقة بين النبات والغيث المسببية ؛ إذ النبات مسبب عن الغيث.

وكقوله تعالى: (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ)[6] فالعلاقة بين الأصابع والأنامل الكلية إذ الأنملة جزء من الإصبع.

المجاز المرسل وعلاقاته: فالمجاز المرسل: هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت لعلاقة غير المشابهة بين المعنيين وسمى مرسلا لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة في الاستعارة إذ ليست العلاقة بين المعنيين المشابهة حتى يدعى اتحادهما أو لأنه أرسل أي أطلق عن التقيد بعلاقة واحدة.

وعلاقة المجاز المرسل معناها: أن يكون هناك تلازم وترابط يجمع بين المعنيين ويسوغ استعمال أحدهما في موضع الآخر وهذه العلاقات كثيره أشهرها ما يلي:

علاقة السببية: وهي أن يكون المعنى الموضوع له اللفظ المذكور سببا في المعنى المراد فيطلق السبب على المسبب. والمجاز بهذه العلاقة كثير في استعمالات العرب، ففي ذلك قولهم: "رعينا الغيث" فالغيث: مجاز مرسل علاقته السببية، لأن المعنى الحقيقي للغيث سبب في المعنى المراد الذي هو "النبات". وقرينة المجاز قولهم: "رعينا" إذ الغيث لا يرعى والسر البلاغي في العدول عن الحقيقة إلى المجاز في مثل هذا التعبير هو إبراز مدى أهمية الغيث وفرحهم به وأثره في نفوسهم حتى كأنه هو المرعى لا النبات.

ومنه قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

الجهل معناه في اللغة: السفاهة والحمق وقد أراد عمرو بالجهل المسند إليه الصادر منه جزاء المعتدين وعقوبتهم على جهلهم وسفاهتهم، فهو مجاز مرسل حيث عبر بالسبب عن المسبب .. وقوله تعالى (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ)[7] أراد عز وجل: ونعرف أخباركم فعبر عن المعرفة والعلم بالاختبار الذي هو سبب المعرفة على طريق المجاز المرسل ..

[6] سورة البقرة آية 19
[7] سورة محمد آية 31.

وعلم الله عز وجل أولى فهو عليم بكل شيء ولا يحتاج في علمه إلى ابتلاء .. ولكن المراد ظهور حقيقة المبتلى وانكشافها فيصبح علم الله تعالى متعلقا بالمعلوم الواقع ...

ومن ذلك قول المتنبي:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي واسمعت كلماتى من به صمم

أراد أن يعبر عن شهرة أدبه وذيوع شعره وبلوغه مبلغا جعل من لا علم له بالأدب ينظر إليه ويعلمه ومن لم يسمع شعرا يسمع كلماته ويدركها .. وقد عبر الشاعر بالأعمى والأصم وأراد من لا معرفة له بالأدب ولا علم عنده بجيده، والعلاقة بين المعنيين: السببية فإن السمع والبصر من أسباب العلم بالأشياء والعمى والصمم من أسباب الجهل بها، والقرينة قوله: " نظر وأسمعت كلماتي " فإنه يستحيل أن يسمع الأصم أو يبصر الأعمى شيئا.

وكما تطلق اليد ويراد بها النعمة لأنها سبب في إيصال النعمة، فإنها تطلق كذلك ويراد بها القدرة، لأن اليد سبب في ظهور سلطان القدرة من بطش وضرب ومنع ونحوه ... ومن ذلك قولهم: " اليد لبنى فلان " والمراد: القوة والغلبة .. وكقوله تعالى (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)[8] والمعنى: قوته ونصرته فوق قوة أصحاب البيعة ونصرتهم.

علاقة المسببية : وهي أن يذكر المسبب ويراد السبب بأن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور مسببا عن المعنى المراد فيطلق اسم المسبب على السبب من ذلك قولهم: أمطرت السماء نباتا ، أي : ماء فذكروا المسبب " نباتا " وأرادوا السبب " ماء " فهو مجاز مرسل علاقته المسببية ومنه قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ)[9] والذى ينزل من السماء هو الماء الذي يتسبب عنه الرزق فذكر المسبب في موضع السبب وتكمن بلاغة المجاز في الآية الكريمة في قوة السببية بين الماء والرزق وفي ذلك إيحاء وتنبيه للمؤمن إلى أن الرزق مصدره السماء فليطمئن وليمض على النهج القويم فالرزق قد قدره الله وكفله للجميع إنه منزل من السماء.

ومنه قول الحق تبارك وتعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ تاراً)[10] والنار لا تؤكل وإنما المراد: يأكلون مالا حراما تتسبب عنه النار التي تكوى.

بها جنوبهم وظهورهم وجلودهم فذكر المسبب النار في موضع السبب وهو المال الحرام " مال اليتامي " وتكمن بلاغة المجاز في الآية الكريمة في إبراز هذه السببية ، وفي إظهار فظاعة وبشاعة تلك الصورة ، صورة من يأكلون أموال اليتامى ، فهم يأكلون نارا تقذف في أفواههم فتندلع في بطونهم فيكون الألم والعذاب .

وقولهم:" كما تدين تدان" أي: كما تفعل تجازى فقد عبر عن الفعل بالدين والدين وهو المجازاة والمكافأة مسبب عن الفعل فهو مجاز مرسل علاقته المسببية إذ أطلق لفظ المسبب وهو المجازاة وأريد السبب وهو العمل والفعل. أما تدان الثاني فهو حقيقة لأن المراد به المجازاة والمكافأة.

[8] سورة الفتح آية 10
[9] سورة غافر 13.
[10] سورة النساء آية 10

علاقة الجزئية: وهي أن يذكر الجزء ويراد الكل كما في قوله تعالى: (قُمِ اللَّيْلَ إلا قليلاً)[11] وقوله عزوجل: (لاَ تَقُمْ فِيهِ أبداً لَمَسْجِد أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنَ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فيه)[12] وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه. فالمراد بالقيام في هذه النصوص: الصلاة وهو ركن من أركانها وقد سميت الصلاة به من باب تسمية الكل باسم الجزء. وكذا قوله الله تعالى: (كَلا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرَبْ)[13] وقوله عزوجل: (فَاسْجُدُوا اللَّهِ وَاعْبُدُوا)[14] وقوله تعالى: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ)[15] فقد عبر عن الصلاة في هذه الآيات بالسجود وهو ركن من أركانها وذلك عن طريق المجاز المرسل الذي علاقته الجزئية.

ومنه قول معن بن أوس المزني في ابن أخته:

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى

وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

فقد ذكر القوافي والقافية وأراد بهما: القصائد والقصيدة مجازا مرسلا علاقته الجزئية حيث ذكر الجزء وأراد الكل. هذا ويشترط في الجزء الذي يراد به الكل أن المراد يكون مما جرى العرف على استعماله في الكل، أو يكون لهذا الجزء اتصال وثيق بالمعنى فقد وجدنا القرآن الكريم يسمى الصلاة قياما أو سجودا لأنهما ركنان أساسيان من أركانها كما يسميها ذكرا أو ركوعا قال تعالى: (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكَ وَاسْجُدِى وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ)[16].. وكل هذه أساسيات في الصلاة .. ولم نر القرآن يسمى الصلاة تشهدا أو بسملة أو جلوسا .. وبهذا يتضح لنا أن الجزء المعبر به عن الكل، يجب أن يكون له اتصال وثيق، ومزيد اختصاص بالمعنى والسياق .. وقد عبر عن الإنسان بأجزاء مختلفة منه فنراه مرة رقبة ومرة عينا ومرة وجها ومرة كفا ومرة قدما ومرة قلبا ولا يصلح جزء من هذه الأجزاء مكان الآخر لاختلاف السياق الذي يقتضي هذا الجزء دون ذاك انظر إلى قوله تعالى: (وَما أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ؟ فَكُّ رقبة)[17] وقوله عز وجل: (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنَ قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا)[18] فقد عبر عن العبد أو المولى في الآيتين بالرقبة لأنها أهم جزء في الإنسان ولأن معانى السيادة والعبودية تظهر أوضح ظهور في الأعناق .. وهم يقولون: بث الأمير عيونه في المدينة وعين العدو تحول في البلد ويريدون بالعين الربيئة أو الجاسوس فسمى الجاسوس عينا باسم جزئه لأن عينه أبرز عضو فيه يستخدمه في التجسس.

ونقول: فلان تتزاحم حوله الأقدام .. أو هو خير من تسعى له قدم .. في مقام المدح بالسيادة والكرم، فقد عبرنا عن طالبي العطاء بالأقدام، لأن بها يسعون قاصدين الممدوح في قضاء حوائجهم.

علاقة الكلية: وهي أن يعبر عن الجزء بلفظ الكل أي يطلق اسم الكل ويراد جزؤه كقوله تعالى: (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ)[19] وقوله عزوجل: (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لَتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثيابَهُمْ)[20] فقد عبر بالأصابع في الآيتين وأراد الأنامل من باب

[11] سورة المزمل آية 2
[12] سورة التوبة آية 108
[13] سورة العلق آية 19
[14] سورة النجم آية 62
[15] سورة الحجر آية 98
[16] سورة آل عمران الآية 43
[17] سورة البلد الآية 13
[18] سورة المجادلة الآية 3
[19] سورة البقرة 19
[20] سورة نوح آية 7

إطلاق لفظ الكل على الجزء مجازا مرسلا علاقته الكلية .. والسر البلاغي في العدول عن الحقيقة إلى المجاز في الآيتين هو رغبة القوم في تعطيل حاسة السمع بأقصى ما يمكن مبالغة فيما يشعرون به من هول الصواعق وفظاعتها في سورة البقرة، ومبالغته في إعراضهم عن الحق في سورة نوح. والقرينة استحالة وضع الإصبع كلها في الأذن عادة.

ومنه قولهم : "قطعت السارق" يريدون : يده ، وقولنا : أكلت نبات الأرض وشربت ماء النيل وقرأت في البلاغة ما كتب السابقون واللاحقون ، والمراد : بعض النبات وجزء من الماء وكثير مما كتبوا فهو مجاز مرسل علاقته الكلية .. والقرينة استحالة أكل الكل أو شربه واستحالة الإحاطة بكل ما كتب.

علاقة اعتبار ما كان: وهي أن يعبر عن الشيء باسم ما كان عليه من قبل كما في قوله عزوجل: (وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الخبيث بالطيب)[21] فاليتيم من مات أبواه ولم يبلغ سن الرشد وهو لا تسلم إليه أمواله لعجزه عن التصرف فيها في هذه السن وإنما تدفع إليه بعد أن يتجاوز سن اليتم ويصير رشيدا فتسميتهم "يتامى" عندئذ باعتبار ما كان قبل ذلك والقرينة: الأمر بدفع أموالهم إليهم لاستحقاقهم التصرف فيها. وإيثار التعبير عنهم بلفظ اليتامى مع أن اليتم قد زال يفيد أمرين:

أولهما: الإنباء بسرعة إعطائهم أموالهم بمجرد ذهاب اليتم عنهم فكأن صفة اليتم لا تزال عالقة بهم وقت دفع المال، لأنه يدفع إليهم عقب زوالها مباشرة.. وهذا واضح في قوله تعالى: (فَإِنْ آنسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ)[22].

ثانيهما: التذكير بحال هؤلاء اليتامى وكيف حرموا من عطف وحنان الأبوة وأنه لا يليق بالمؤمن أن يطمع في مال من هذا شأنه.

ومنه قول تعالى: (إِنَّهُ مِنَ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى)[23] سمى مجرما باعتبار ما كان عليه في الدنيا، لأن المرء لا يوصف بالإجرام بعد الممات إلا باعتبار حاله التي كان عليها من قبل، ويومىء هذا الوصف بالحال التي يكون المجرم يوم القيامة عليها حيث تبدو عليه آثار الذلة والمهانة والندم وكأن صفة الإجرام تظل لاصقة به في هذا اليوم ووراء ذلك ما وراءه من شدة العذاب والعقاب.

علاقة اعتبار ما يكون: وهي أن يعبر عن الشيء باسم ما يئول إليه في المستقبل كما في قوله تعالى: (قَالَ أَحَدُهُمَا: إِلَى أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً)[24] يريد عنبا يئول عصيره إلى خمر لأن الخمر عصير والعصير لا يعصر وإيثار لفظ الخمر بالتعبير ينبئ بالإثم الذي يرتكبه العاصر فهو لا يعصر عنبا وإنما يعصر خمرا ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: لعن الله الخمر وعاصرها ومعتصرها ".

وقوله تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ)[25] يريد أن مآله إلى الموت وهم كذلك بقرينة الخطاب لأن من مات فعلا لا يخاطب. وقوله عزوجل: (وَقَالَ نُوحٌ: رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً، إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إلا فاجراً كفاراً)[26] فالمولود يولد على الفطرة مؤمنا نقيا سواء كان

[21] سورة النساء الآية 2
[22] سورة النساء الآية 6
[23] سورة طه 74
[24] سورة يوسف 36
[25] سورة الزمر الآية 30
[26] سورة النوح الآية 27

أبواه مؤمنين أم كافرين والمراد بـ "فاجرا كفارا" في الآية أن ما يلده الكفرة سيئول إلى ذلك في المستقبل وقوله تعالى: (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ)[27] أي مولود مآله أن يكون غلاما حليما.

علاقة المحلية: وهي أن يذكر اسم المحل ويراد الحال به كما في قوله تعالى: وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا)[28] فالمراد: أهل القرية وأصحاب العير، فسمى الحال باسم محله مجازا مرسلا، وفي العدول عن الحقيقة إلى المجاز إشارة إلى ذيوع أمر السرقة، واشتهارها (يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ)[29] إلى درجة أنه لو سئلت القرية والعير أي الجمادات والحيوانات لنطقت بها وأجابت.

وقوله عزوجل: (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ. سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ)[30] فالمراد: أهل ناديه لاستحالة دعاء النادي الحقيقي، تسمية للشيء باسم محله.

ومنه قول الشاعر:

إن العدو وإن تقادم عهده فالحقد باق في الصدور مغيب

فالمراد بالصدور: القلوب التي تحل بها تسمية للشيء باسم محله.

علاقة الحالية: وهي أن يذكر اسم الحال ويراد المحل كما في قوله تعالى: (وأما الَّذِينَ ابْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[31] فالمراد برحمة الله: جنته لأن الرحمة حالة فيها تسميه للشيء باسم ما يحل به، وقوله تعالى (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ)[32] فالمراد بالزينة: اللباس وكل ما تحل به، لأن الزينة لا تؤخذ.

ومنه قول المتنبي يصف جيوش سيف الدولة:

والأعوجية ملء الطرق خلفهم والمشرفية ملء اليوم فوقهم[33]

المعنى: أن خيول الجيش قد ملأت الطرق وسيوفه قد سدت الفضاء. فعبر باليوم وأراد: الفضاء الذي يحل به اليوم ويأتي عليه الليل والنهار، فهو مجاز مرسل علاقته الحالية.

علاقة الآلية: وهي أن يعبر عن الشيء باسم الآلة التي يحصل بها كما في قوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)[34] والمراد: إلا بلغة قومه.

فذكر اللسان وأراد اللغة لأنه آلة للتعبير عنها .. وقوله تعالى: (وَاجْعَلْ لِي لِسَان صدق في الآخِرِينَ)[35] المراد: اجعل لي ذكرا حسنا يدوم بعد مماتي، فسمى الذكر لسانا، لأن اللسان هو الآلة التي يوجد بها الذكر والثناء.

---

[27] سورة الصافات الآية 101
[28] سورة يوسف 83
[29] سورة يوسف 81
[30] سورة العلق الآية 7
[31] سورة آل عمران الآية 107
[32] سورة الأعراف الآية 31
[33] الأعوجية: الخيل المنسوبة إلى أعوج وهو فرس كريم لبنى علال والمشرفية: السيوف
[34] سورة إبراهيم الآية 4
[35] سورة الشعراء الآية 84

ومنه قوله عز وجل: (فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ)[36] عبر بالعين وأراد البصر والرؤية لأن العين آلة الإبصار فهو مجاز مرسل علاقته الآلية.

علاقة المجاورة: وهي أن يعبر عن الشيء باسم ما يجاوره، وذلك إذا كثر اقتران الاسمين ومجاورتهما كثرة تسوغ استعمال أحدهما مكان الآخر ، كما في إطلاق لفظ الراوية على المزادة أي قربة الماء من قولنا شربنا من الراوية أو خلت الراوية من الماء ، الراوية اسم للبعير الذي يحمل عليه الماء فلما كثرت مجاورة المزادة لظهر الراوية أطلق على المزادة اسم الراوية مجازا مرسلا علاقته المجاورة .

ذكر عنترة الثياب وأراد الجسد، وذكرت ليلى الأثواب وأرادت الرجال الذين ركبوا الإبل فرموها بأنفسهم، وذلك على طريق المجاز المرسل لعلاقة المجاورة.

وقول الآخر:

إن لنا أحمرة عجافاً يأكلن كل ليلة إكافا[37]

أطلق لفظ الإكاف على العلف الذي تأكله الأحمرة للمجاورة لأن العلف يحمل على الإكاف ، ويحتمل أن تكون العلاقة السببية لأن ثمن الإكاف سبب في الحصول على العلف.

إعداد وتقديم الدكتور: عبد الرحيم عزاب

[36] سورة الأنبياء الآية 61

[37] أحمرة: جمع حمار وعجافا: جمع عجفاء وهي الهزيلة والإكاف: برذعة الحمار.